ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٣٣٤) / عبد الحليم الغزّي

أسئلةٌ ، أجوبةٌ ، صورٌ وحقائق من واقعنا الشيعي المَرجعي المُرجئي البَتري العباسي التافه (ج٣٨)

اسئلة واجوبة (ق٢٤)

-تجارب الإقتراب من الموت (ق٤)

-كيف نحصّل على العقيدة السليمة ؟

الاربعاء : ١٤/رجب/١٤٤٣هـ - الموافق ١٦/٢/٢٠٢٢م

وصلتُ معكم في الحلقة الماضية في آخر الحديث إلى رواية مَرويَّة عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه، من الجزء الخامس والستين من (بحار الأنوار) للمجلسي/ طبعةُ دارِ إحَياء التراث العربي/ بيروتَ/ لبنان/ الصفحةَ الثانيةُ بعد المئة/ الحديثُ الحادي عشر، رواهُ عن (المحاسن للبرقي): بِسَنده، عَنْ مُوسَى بن بَكر، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبد الله - عندَ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه - فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: أَسْأَلُ اللهَ الجنَّة، فَقَالَ أَبُو عَبد الله - إمامُنا الصَّادقُ - أَنْتُم فِي ا لجنَّة فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ لَا يُخْرِجَكُم مِّنْهُا، فَقَالُوا: جُعِلنَا فِدَاك، نَحْنُ فِي الدُّنْيَا؟! فَقَالَ: أَلَسْتُم تُقِرّونَ بِإِمَامَتِنَا؟ قَالُوا: نَعَم، فَقَالَ: هَذَا مَعْنَى الجَنَّة الَّذِي مَن أَقَرَّ بِهِ كَانَ فِي الجنَّة، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ لَا يَسْلبكُم.

ذَكرتُ هذه الرواية الَّتي قرأتُها الآن، ذكرتُها لكم في الحلقة الماضية في سياقِ حديث عرضتُ فيه جُملةً من الحقائقِ الَّتي تخفى علينا وهي موجودةٌ في عالَمنا الدُّنيوي، عالَمُنا الدُّنيوي يبدأُ منَ السَّماء الدُّنيا و زينتها، وهذا هوَ ظاهرُ الدُّنيا، أَمَّا باطنُها فباطنُ الدُّنيا عالَمٌ ما تحدَّثَ به أصحابُ تجارب الاقترابِ من الموت لا يُمثِّلُ شيئاً من سعته وشفَّافيّته ونقائه، قطعاً أتحدَّثُ في الجهتين؛ "في جهة النَّعيم، وفي جهة العذاب"، حتَّى في جهة العذابِ إذا كانَ الكلامُ عمَّا يرتبطُ بباطنِ هذه الدُّنيا أو ما يرتبطُ بمجرياتِ عالمِ البرزخ، العذابُ هو مرحلةٌ من مراحل النَّقاء لأنَّهُ عَدَالةٌ حقيقيّةٌ، وهذه العدالةُ الحقيقيّةُ إنَّما تجري على الإنسانِ بعمل الإنسانِ نَفسه..

رجلٌ في المجلسِ دَعا بهذا الدُّعاء: (أَسْأَلُ اللهَ الجَنَّة).

الإمامُ أجابهُ بلسانٍ قاطع: (أَنْتُم فِي الجَنَّة فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ لَا يُخْرِجَكُم مِّنْهَا).

لأنَّ الكلامَ كانَ حقيقياً أثارَ استغرابهم، لو كانَ الكلامُ مَجازياً لَمَا أثارَ استغرابهم، لأنَّ وَقْعَ الكلامِ والقرائنَ الحالية والقالية تُشيرُ إلى أنَّ الإمامَ كانَ يتحدَّثُ بلسانِ الحقيقة لا بلسانِ المجاز، ومن هُنا قالوا: جُعِلنَا فِدَاك نَحْنُ فِي الدُّنْيَا؟! - الإمامُ يُريدُ أنْ يُثبتَ لهم الحقيقة لا يُريدُ أنْ يُثبت لهم مجازاً، فإنَّ سؤالَ أصحاب الإمام كانَ ردَّةَ فعلٍ لفهمهم أنَّ الإمامَ تَكلَّمَ بلسانَ الحقيقة - فَقَالُوا: جُعِلنَا فِدَاكَ نَحْنُ فِي الدُّنْيَا؟! - الإمامُ ماذا قال لهم؟ - أَلَسْتُم تُقِرّونَ بِإِمَامَتِنَا؟ قَالُوا: نَعَم - الإمامُ هكذا قَالَ وبلسانٍ صريح - هَذَا مَعْنَى الجَنَّة - هذا هو المعنىَ الحَقيقي. قطعاً في أفقٍ من الآفاق، الجنَّةُ آفاقٌ، في آفقٍ من الآفاقِ هذا المصطلح (الجنَّةُ)، هو هذا الَّذي تَحدَّثَ عَنهُ الإمامُ الصادقُ، العقيدةُ السليمةُ هي الجنَّة وهي الَّتي تقودنا وتأخُذنا إلى الجنَّة.

الجَنَّة هنا تعني جَنَّةَ الآخرة، تعني جنَّةَ ا لبرزخ، تعني النَّعيمَ المعنويَّ لباطن الدُّنيا، هذا الَّذي استشعرَ أصحابُ تجارب الاقترابِ من الموت شيئاً من نفحاته، الإمامُ الصادقُ يأخذنا باتجاه خصوصيّةٍ في الوعي، الإمامُ يدفَعُنا إلى وعيٍ مخصوص، الوعيِ المخصوصُ هذا هوَ الَّذي استشعرَ أصحابُ تجارب الاقترابِ منَ الموت درجةً من درجاته، ورجعوا في غايةِ العجبِ يتحدَّثونَ عَمَّا شاهدوا وعمَّا سَمعوا.

أوَّلُ مستوىً من مستوياتِ تحصيل العقيدةِ السليمة: التعلُّمُ والتعليم.

أن نتعلَّمَ عندَ من نستطيعُ أنْ نتعلَّمَ عنده، وَإلَّا فإنَّنا نُعلِّمُ أنفُسنا، أقولُ للَّذينَ يُتابعون برامجي إذا كُنتم جادّينَ في الوصولِ إلى الحقيقة وإلى العقيدة السليمة فإنَّ الأمرَ ليسَ سهلاً، عليكم أن تتعبوا حتَّى تصلوا إلى العقيدة السليمة، على الأقلّ عليكم أن تدرسوا مجموعة حلقات (اعرف إمامك)، أنْ تُتابعوها.

حينما أقولُ لكم: التصقو ا بمضامينِ تلكَ الحلقات لأنَّها لُبَابُ ثقافتهم، من قُرآنهم المفسِّرِ بتفسيرهم، ومن حديثهم المفهَّمِ بقواعد تفهيمهم.

في الكافي الشريف/ الجزء الأوَّل/ طبعةُ دارِ الأسوة/ طهران/ إيران/ الصفحة الثامنة والأربعين/ الحديثُ الثامن: بِسَنده، عَن أَبَانَ بن تَغلب، عَن إِمَامنَا الصَّادق صَلواتُ الله عليه، لَوَدِدتُ أَنَّ أَصْحَابِي ضُرِبَت رُؤُوسُهُم بِالسِّيَاط حَتَّى يَتَفَقَّهُوا - الإمَامُ هو الَّذي يَضرِبُ رؤوسهم - لَوَدِدتُ أَنَّ أَصْحَابِي ضَرَبْتُ رُؤُوسُهُم بِالسِّيَاط حَتَّى يَتَفَقَّهُوا)، وأوّ لُ الفقه العقيدةُ السليمة، أوَّلُ الدِّينِ معرفَتهُ، إنَّها معرفةُ العقيدة، هذا الضربُ بالسياطِ ينزلُ على الرؤوس، لماذا؟ كي يُحدِثَ صدمةً، هذهِ الصدمةُ هي الَّتي ستدفعنا أن نتحرَّكَ باتجاه وعيٍ صحيح.

التَفَقُّه؛ تَفَعُّل، يعني أنَّ الإنسانَ يفعلُ ويفعلُ و يفعل، بحاجة إلى تعبٍ، بحاجةٍ إلى مُواصلةٍ في النشاطِ لمعرفةِ العقيدةِ السليمة، لا أن يتعاملَ مع هذا الموضوعِ تعاملاً من دونِ الشعورِ بمسؤوليّة عميقة..

هؤلاء الَّذينَ جرت عليهم تجاربُ الاقترابِ من الموت وخاضوا تلكَ التجارب رجعوا إلى أجسادهم، رجعت أرواحهم إلى أجسادهم، وحينما رجعوا إلى حياتهم الاعتياديّة فقد رجعوا برؤية جديدة، بنظرةٍ جديدة للحياة، لقد أدركوا شيئاً لا قيمةَ لهُ من حواشي العقيدة السليمة، لكنَّهم أدركوا ذلك بأرواحهم، لأنَّني قد استمعتُ إلى أحاديثهم وخُصوصاً مَن كانَ مِنَ الشيعة، هُم أدركوا شيئاً، ولكنَّ الَّذي أدركوه لا قيمةَ لهُ إلى تفاصيلِ العقيدة السليمة..

هذا أوَّلاً، التعلُّم والتعليم، وجدنا من يُعلِّمنا فإنَّنا نتعلَّمُ عنده، لم نَجد فإنَّنا نُعَلِّمُ أنفُسنا بقدرِ ما نستطيع، هذا المستوىَ يكونُ بوّابةً للمستوى الثاني، لأنَّ العقيدةَ لا تأتي من تَعلُّمٍ وتعليمٍ فقط، التعلُّم والتعليمُ يرسمُ ملامحَ العقيدة، يُعطينا مفردات العقيدة لكنَّها لنْ تُعجَنَ في قلوبنا وضمائرنا بالتعلُّمِ والتعليم فقط، نحنُ بحاجةٍ إلى مُعايشة، إلى معاناة معنويّة، وإنَّما يتحقَّقُ هذا ببرنامجِ خدمةِ لإمامِ زماننا.

المضمونُ الَّذي جاءَ في الآية المئتين بعدَ البَسملة من سورة آل عمران، وهي آخرُ آيةٍ في السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ - الخطابُ للَّذينَ يقولونَ إنَّنا مؤمنون، والمؤمنونَ هُم الَّذينَ آمنوا بإمامة الحُجَّة بنِ الحَسن فقط، هذه عقيدتنا لا شأنَ لنَا بالآخرين - يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ﴾، اصبروا على دينكم، الصَّبرُ على الدِّينِ صبرٌ على أحكامه، صبرٌ على طُقوسَه، صبرٌ على أوامره، صبرٌ على نواهيه، فَهُناكَ التزاماتٌ زمانية، وهُناكَ التزاماتٌ مكانية، وهُناكَ الَتزاماتٌ جسديّة، وهُناكَ التزاماتٌ ماليّة، وهُناكَ التزاماتٌ اجتماعيّة ترتبطُ بأنواعٍ متعدِّدة من العلاقات، وهُناكَ وهناكَ، هُناكَ العباداتُ، هُناكَ المعاملاتُ، هُناكَ الأخلاقُ، هُناكَ الآدابُ، هُناكَ السُّننُ، قطعاً لا يستطيع الإنسانُ أن يتواصلَ معَ كُلِّ هذهِ ا لتفاصيل وإنَّما بحسبِ شؤونِ حياته، عُمْرُ الإنسان، عملُ الإنسان، البلدُ الَّذي يعيشُ فيه، الزمانُ وخصائصهُ، كُلُّ هذه التفاصيل لها علاقةٌ واضحةٌ في تشخيصِ ما يرتبطُ بحياتنا من أحكامٍ، من طقوسٍ، من عباداتٍ، من أخلاقٍ، من آدابٍ، إلى سائر التفاصيلِ الأخرى، وإنَّما هو بحدودِ ما نتمكَّنُ من إقامته وإتيانه.

- وَصَابِرُواْ"؛ المصابرةُ أعلى شأناً من الصَّبر، صابروا أعداءكم، أعداءكُم من نواصبِ سقيفةِ بني ساعدة أو من أبناء جلدتكم من نواصبِ سقيفة بني طوسي بني نجف بني مرجعيّة، فهؤلاء سيبذلونَ أقصى جهودهم لإيذائكم صابروهم، المصابرةُ ليسَ بالضرورةِ في مواجهتهم، المصابرةُ بتحمّلهم، بتحمّلِ آذاهم وبالاستقامة على العمل، أقوى ردٍّ على هؤلاء أن نستمرَّ في عملنا لا نعبأ بهم - وَرَابِطُواْ"؛ رَابطوا إمامَ زَمَانكم، حينما نتعلَّمُ العقيدةَ بشكلٍ صحيح، وحينما نأخذُ العقيدةَ السليمةَ من مصادرها الصحيحة، وفي الوقت نفسه نحنُ نعملُ في برنامجٍ لخدمة إمامِ زماننا كُلُّ شخصٍ بحسبه، لأنَّ الخدمةَ هي الَّتي ستُمازجُ العقيدةَ في قلوبنا، هذه المعايشةُ وهذه المعاناةُ، أنا لا أَستطيعُ أن أفصِّلَ القولَ في كُلِّ هذه المطالب إنَّني أُجملُها.

التوفيقُ يأتينا، التوفيق ليسَ بأيدينا، لكنَّنا إذا كُنَّا صادقينَ وبدرجة من درجاتِ الإخلاص تعلَّمنا عقيدتنا السليمة وتحرّكنا باتجاه خدمة إمامِ زماننا سيأتي التوفيقُ من عنده صلواتُ الله عليه، التوفيقُ هو الَّذي يجعلنا نَعرفُ الدُّ نيا، لأنّ مُشكلتَنا هي الدَّنيا، نحنُ أبناؤها ونحنُ مَجبولونَ على حُبها، من دُونِ حب الدُّنيا لن نَستطيعَ أن نعيش، حُبّ الدُّنيا ضروريٌّ لحياتنا، المشكلةُ ليست في حُبِّ الدنيا، المشكلةُ كيفَ نتعامَلُ معَ الدُّنيا، وكيفَ نُوظِّفُ حُبّ الدُّنيا هذا الَّذي جُبلنا عليه، وإلَّا فإنَّنا أبناءُ الدُّنيا، الدُّنيا أُمُّنَا لا نستطيعُ أن ننفصلَ عنها، الإنسانُ الطبيعيَّ هو ابنُ الدُّنيا وهو المجبولُ على حُبِّ الدُّنيا، هذا هوَ الإنسانُ الطبيعيُّ، أن يكونَ إنسانٌ لا يُحبَّ الدُّنيا فعلاً فعلاً بتمامِ معنى الكلم ة لا يُحِبَّ الدُّنيا فإنَّهُ لن يكونَ من أبنائها، فماذا سيكون؟ سينتحر، المنتحرونَ هم الَّذينَ انطفأ حُبُّ الدُّنيا في ضمائرهم.

- في (نهج البلاغة) ما هو ذَمٌّ للدُّنيا وما هو مَدحٌ للدُّنيا.

طبعة دار التعارف للمطبوعات/ بيروت/ لبنان/ الخطبةُ التاسعةُ والتسعون من خُطَبِ أمير المؤمنين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه/ سأقرؤها مِن دونِ أن أقفَ عندَ تفاصيلها، الخُطبة طويلةٌ.

الإمام هُنا يُحدِّثُنا عن معايب الدُّنيا، يُنَفِّرُنا من الدُّنيا: عِبادَ الله، أُوْصيكُم بِالرَّفْض لِهَذه الدُّنْيَا التَّارِكَة لَكُم وَإِنْ لَم تُحبّوا تَرْكَهَا - ما نحنُ نتقدَّمُ في أعمارنا، وكُلَّما نتقدَّمُ في الأعمارِ ففي الحقيقة إنَّ الدُّنيَا تنسلخُ عنَّا شيئاً فشيئاً، إنَّها تتركُنا وَقد سَلبَت مِنَّا جمالَ الوجوهِ وحُسنَ الأَجسامِ وسوادَ الشعرِ، وسلبت مِنَّا قُوَّةَ الأبدانِ، وسلبت وسلبت وسلبت، وأعطتنا عجزاً وضَعفاً وهَواناً و و و.

- وَالْمُبْلِيَة لأَجْسَامكُم وَإِنْ كُنْتُم تُحبُّونَ تَجديدَهَا - لستُم قادرينَ على ذلك، وصفٌ دقيقٌ لهذه الدُّنيا - فَإِنَّمَا مَثَلُكُم وَمَثَلُهَا كَسَفْر - "سَفْر"؛ يعني مسافرين، مجموعةُ مُسافرة يُقالُ لها سَفْر - سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُم قَدْ قَطَعُوه، وَأَمُّوا عَلَماً - جهةً واضحةً معلومةً - فَكَأَنَّهُم قَدْ بَلَغُوه، وكَم عَسَى الـمُجْرِي إِلَى الغَايَة أَنْ يَجْرِيَ إِلَيهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَن لَهُ يَومٌ لَا يَعْدُوه - لا يتعدّاه، لهُ يومٌ ينتهي عنده - وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوت يَحْدُوه - يحدوهُ وراءهُ يسوقهُ - وَمُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا - مُنغِّصاتُ الحياة - وَمُزْعِجٌ فِي الدُّنْيا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً - رغماً عن أنفه - فَلَا تَنَافَسُوا فِي عزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاع، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَال، وَضَرَائَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَاد - سينتهي نَعيمها وسينتهي بُؤسهَا، فلا حزنٌ يدومَ ولا سرورٌ، أيّامٌ هي تنقضي، ولكنَّنا نُخدَعُ، تَارةً الشيطانُ؛ "شيطانُ الجنِّ يَخدَعُنا، وتارةً شيطانُ الإنسِ يخدعُنا"، وتارةً الدُّنيا بزبارجها تخدعُنا، وتارةً يخدعُ بعضنا بعضاً ذحنُ الأصدقاء، نحنُ الأقرباء، نحنُ الأسرةُ الواحدة، نحنُ الزملاءَ في العمل يخدعُ بعضُنا بعضاً، وتارةً نحنُ نخدعُ أنفُسنا نضحكُ عليها، نحنُ نضحكُ على ذقوننا بأنفُسنا.

- وَكُلُّ مُدَّة فيْهَا إِلَى انْتِهَاء وَكُلُّ حَيٍّ فيْهَا إِلَى فَنَاء، أَولَيسَ لَكُم فِي آثَارِ الأَوَّلِين مُزْدَجَر يزجركُم، وَفِي آبَائِكُم الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَر إِنْ كُنْتُم تَعْقِلُون، أَولَم تَروا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُم لَا يَرْجِعُون وَإِلَى الخَلَفِ الباقِينَ لَا يَبْقُون، أَولَسْتُم تَرونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُون عَلَى أَحْوَال شَتَّى؛ فَمَيِّتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبتلى، وَعَائِدٌ يَعُود، وَآخَرُ بِنَفْسه يَجُود - إنَّها اللحظاتُ الأخيرةُ من حياته - وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوتُ يَطْلُبُهُ - وهو لَيس منتبهاً لذلك - وَغَافِلٌ وَلَيسَ بِمَغْفُولٍ عَنْه، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضي مَا يَمْضِي البَاقِي - هكذا هي الحياة - أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّات، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَات، وَقَاطِعَ الأُمْنِيَات - حينما يأتي الموتُ ينتهي كُلُّ شيء، المخطَّطاتُ تنتهي، الآمالُ تزول، ولا مجالَ لأن نعود، إنَّها لحظةٌ، لحظةٌ مُفاجئة كانطفاء ذُبالة الشمعة - عِنْدَ الـمُسَاوَرَةِ للأَعْمَال القَبِيحَة - حينما نريدُ أَنْ نُقدمَ عليها - وَاسْتَعِينُوا اللهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّه، وَمَا لَا يُحْصَى مِن أَعْدَادِ نِعَمِه وَإِحْسَانِه. هذه كلماتُ أميرِ المؤمنين في وَصف الدُّنيا في ذَمِّها.

وهُنَاكَ كلماتٌ في مَديحها.

في نهج البلاغة الشريف، الكلمةُ الحاديةُ والثلاثون بعدَ المئة من كلماته القصار صلواتُ الله وسلامهُ عليه يقولُ فيها، بعدَ أن يلومَ على الَّذي يكونُ ذَامّاً للدُّنيا، سأذهبُ إلى موطن الحاجة من كلمات سَيد الأوصياء هكذا يقول: إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَن صَدَقَهَا - كما قلتُ لكم الدُّنيا أُمُّنا، ونحنُ أبناؤها، ونحنُ مَجبولونَ على حُبها، من دُونِ حُبنا للدُّنيا لن نستطيعَ أن نعيشَ فيها - وَدَارُ عَافِيَة - ما هي بدارِ بلاء إنَّها دارُ عافية - لِمَن فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنَى - للآخرة - لِمَن تَزَوَّدَ مِنْهُا، وَدَارُ مَوعظَة لِمَن اتَّعَظَ بِهَا - "لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي" لمن تزوَّدَ من عقيدة سَليمة، ومن خدمَة لإمامِ زَمانه، ومن صَبرٍ على دِينه، ومُصابرة على أعدائه، ومُرابطَة في فناء إمامِ زمانه - مَسجِدُ أحبَّاء الله - هذه الدُّنيا فيهَا كَرْبَلاء، هذه الدُّنيا فيها النَّجف، وفيها الكوفةُ، وفيها الكاظميَّةُ، مسجدُ أحبَّاء الله، هذه الدُّنيا الَّتي نَخدمُ فيها الحُسَين، هذه الدُّنيا الَّتي نُحبُّ فيهَا علياً، هَذه الدُّنيا الَّتي نَكُونُ فيها زهرائيين، هذه هي الدُّنيا.

-وَمُصَلَّى مَلَائِكَة الله، وَمَهبِطُ وَحيِ الله، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاء الله - هُنا في هذه الدُّنيا نزدادُ معرفةً بِمُحمَّد وآلِ مُحمَّد، هنا في هذه الدُّنيا نُشدِّدُ الرِّباطَ ونُؤكِّدهُ مع بقيَة الله هنَا - اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَة، وَرَبِحُوا فِيهَا الجَنَّة - الجنَّةُ الَّتي حَدَّثنا عنها إمامنا الصَّادق، هذا هو ربحنا: العقيدةُ السليمة الَّتي تقودنا إلى الخدمة الصحيحة والَّتي ستأخُذنا إلى معرفة حقيقة الدُّنيا؛ إنَّهُ الزُّهد، هذا الزُّهدُ الَّذي يُفَجِّر ينابيعَ الحكمة في القُلوب، الَّذينَ مرّت عليهم تجاربُ الاقترابِ من الموت كما يُسمّونها رجعوا إلى الدُّنيا بنظرةِ زُهد فيها ومن مُختلف الدِّيانات لأ نَّهم أدركوا شيئاً من قيمتها، لو أنَّهم دخلوا من هذه الأبواب لعَرفوا قيمةَ الدُّنيا.

- فَمَن ذَا يَذمُّهَا وَقَد آذَنَت بِبَيْنِهَا - آذَنَت أخبرتنا، أخبرتنا من أنَّنا نُفارقُها وستُفارقنا، فكُلُّ شيءٍ فيها هكذا يقول - وَنَادَت بِفِرَاقِهَا، وَنَعَت نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا - في كُلِّ جُزء من أجزائها إذا نظرنا إليها بحكمة وبصيرة - فَمَثَّلَت لَهُم بِبَلَائِهَا البَلَاء، وَشَوَّقَتْهُم بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُور، رَاحَت بِعَافِيَة - العافيةُ راحت - وَابْتَكَرت بِفَجِيعَة - وأقبلت بفجيعة - تَرْغِيباً وَتَرهِيباً وَتَخْوِيفَاً وَتَحذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَة - حينما انقضت أيَّامُها وما أحسنوا فيها - وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَومَ القِيَامَة - لماذا؟ لأنَّهم قد انتفعوا منها وكانت تجارتهم رابحة، لقد عقدوا الصفقةَ مع إمام زمانهم - ذَكَّرَتْهُم الدُّنيا فَتَذَكَّروا، وَحَدَّثَتْهُم فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُم فَاتَّعَظُوا - لم يكونوا على غفلة إنَّهم يستمعونَ بأُذنٍ واعيةٍ إلى الدُّنيا يُنصتُونَ إلى حديثها، يُنصتُونَ إلى صُراخها وعويلها.

الكلمةُ الثالثةُ والثلاثون بعدَ المِئة من كلمات أميرِ المؤمنينَ القصار كلمةٌ قصيرةٌ يختصر فيهَا الأميرُ كُلَّ الكلامِ المتقدِّم، مَا كانَ من كلامه في ذَمِّ الدُّنيا وما كانَ من كلامه في مديح الدُّنيا، الإمامُ يقول: الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ - ترانزيت - لَا دَارُ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيْهَا رَجُلان؛ رَجُلٌ بَاعَ فِيْهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا – فأوبقها؛ فأهلكَها بالآثام - وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ - اشترى نفسهُ - فَأَعْتَقَهَا - اشترى نفسهُ كيف؟ أن باعها لإمامِ زمانهِ، كَلمةٌ إذا اعتبرنا فيها تحفرُ في القلبِ حفراً..

أصحابَ تجارب الاقترابِ من الموت ما كـانوا يرغبونَ في العودة إلى الدُّنيا الَّتي كانوا فيها، لا أتحدَّثُ عن الجميع، وإنَّما هُناك عددٌ وفيرٌ منهم ممَّن عاشوا تلك التجربة ما كانوا يُريدونَ الرّجوعَ إلى أجسادهم، حينما يتحدَّثُونَ ويُبيِّنون السّبب يقولونَ: لأنَّنا كُنَّا نستشعرُ أنَّ وطننا الحقيقي هو هذا، هذا الَّذي تواصلنا معهُ بعدَ خروجُ أرواحنا من أجسادنا، وإنَّنا لا نشعرُ أنَّ الدُّنيا الَّتي كُنَّا فيها حينما كُنَّا في أجسادنا من أنَّها كانت منزلاً حقيقياً لنا، نشعرُ أنَّ المنزلَ الحقيقيَّ هو هذا الَّذي تواصلنا معه، إنَّهم أدركوا شيئاً، شيئاً من حاشيةِ الحقيقة.

ماذا يُحدِّثُنا القُرآنُ عن دنيانا هذه؟

في الآيةِ الثانية والثلاثين بعدَ البسملة من سورة الأنعام: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْو - إنَّما تَكُونُ لعباً ولهواً حينما لا نتعاملُ معها بحكمة - وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾، ولكنَّ الممرَّ إلى الآخرةِ من هذه الدُّنيا، علينا أنْ لا نجعلَ الـممَرَّ ساحةً للعبِ واللهو، أنْ يَكُون ممراً نَصبرُ فيهِ صبرَ ساعة كما يقولُ بابَ الحوائج: (وَمَا الدُّنْيا إلَّا صَبْرُ سَاعَة).

في سورةِ العنكبوت، الآيةِ الرابعة والستين بعدَ البسملة من السورة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِب - أنا لا أريدُ أن أقفَ عندَ معاني اللهو واللعب، فهذا يحتاجُ إلى وقت وأنا لا أَملكُ وقتاً طويلاً، وإنَّما خُذوا المعاني بإجمالها.

في سورةِ الأنعامِ في الآيةِ الثانيةِ والثلاثين بعدَ البسملة: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ - فَقُدِّمَ اللعبُ على اللهو، هذا الأمرُ ليسَ جُزافياً، هُناكَ دقَّةٌ في التعابير، وهُنا قُدِّم اللهو على اللعب، هذهِ الآياتُ أعودُ إليها في وقتٍ آخر، في سورةِ الأنعام - وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾.

في سورةِ العنكبوت قُدِّم اللهو على اللعب: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِب وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ - الحَيَوانُ الحياةُ الحقيقيةُ الدائمةُ المستمرّةُ - لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، هُناكَ: (يَعْقِلُون)، هنا: (يَعْلَمُونَ)، كُلُّ آيةٍ ناظرةٌ إلى جهةٍ من جهاتِ الدُّنيا، وإلى جهةٍ من جهاتِ خصائصِ الإنسان، لكنَّني أتحدَّثُ هنا عن المعنى الإجمالي للدُّنيا؛ "إنَّهُ لَعِبٌ ولهو".

في سورةِ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، الآيةِ السادسة والثلاثين بعدَ البسملة: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا - إنَّما للحصرِ وللتحديد وللتضييق، هناك وصفٌ مُحدَّدٌ وضَيِّقٌ وخاصٌ بهذه الدُّنيا - لَعِبٌ وَلَهْوٌ - عُدْنَا إلى التعبيرِ الَّذي جاء في سورة الأنعام - إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

في سورةِ الحديد، الآيةِ العشرين بعدَ البسملة: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ - "الكُفَّارَ"؛ الزُّرَّاع الَّذينَ يَكْفُرونَ بُذورَ الزَّرعَ بالتُّراب، أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ؛ لَقد اخضرَّ وأورقَ وأثمر - ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾، هكذا هي الدُّنيا تبدو جميلةً ثُمَّ تُعرِضُ عَنَّا مُوليَّةً قبيحة، إذا وجدنا فيها راحةً فإنَّ الرّاحةَ لَنْ تدوم، وإذا وجدنا فيها صحَّةً فإنَّها لنْ تَستمر، كُلُّ شيءٍ فيها يأتي يحملُ الهمَّ والغَمَّ في دواخله، هكذا عاشَ أجدادُنا وآباؤنا وها نَحنُ نعيشُ كما عاشوا، لقد ذهبوا وغادروا وسنذهبُ نحنُ أيضاً ونُغادر.

-وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ - إنَّهُ شيءٌ عارضٌ سريع -

الآيةِ الَّتي بعدها: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، سابِقُوا؛ إمامُنا الصَّادقُ يقول - لَوْ أَدْرَكْتُهُ - لو أدركتُ القائمَ - لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي"، سابقوا هذه هي المسابقة..

في الجزءِ الثامنِ والستين من (بحار الأنوار) للمجلسي/ طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ الصفحة السابعة والستين بعد المئتين/ الحديثُ الرابعَ عشر: بِسنده، عَن هشَام بنِ سَالم، عَن إمَامِنَا الصَّادق صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه: جَاء جَبرَائيلُ إِلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله - جبرائيلُ لا يُعَلِّمُ النَّبي وإنَّما تأتي الخطاباتُ وتأتي السِّياقاتُ بلسانِ المداراةِ والتقريب، فجبرائيلُ عَبْدٌ عندَ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله كانَ يجلسُ بَينَ يديه جِلْسَة العَبْد، وما يأتي به جبرائيلُ فَهُو مِنَ الله سُبحانهُ وتعالى، بحسبِ الحديث؛ الخطابُ لـمُحَمَّد لَفْظاً والمضمونُ لِي ولكم - يَا مُحَمّد - صَلَّى اللهُ عليه وآله - عش مَا شئْتَ فَإنَّكَ مَيِّت - هذا هو أَنا، وهؤلاء أنتُم، هذا الخطابُ لِي ولَكُم، فلنُخَاطب أنفُسنا نَحنُ أنا وأنتم - وَأَحْبِب مَن شئْتَ فَإنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شئْتَ فَإنَّكَ مُلَاقيه - "وَأَحْبِب مَن شئْتَ فَإنَّكَ مُفَارِقُهُ"؛ مِن أمثالي من أبناءِ الدُّنيا من أُسرتي، من أرحامي، من أخوتي وأصدقائي، ممَّن أعرفُهم في هذه الحياة من أبناءِ جيلي، فإنَّهُم مُفارقونَ لِي وأنا مُفارقٌ لهم، الحُبُّ الَّذي يُنجِيني هو حُبُّ الحُجَّة بنِ الحسن ذاك الَّذي لا يُفَارقني إذا كُنتُ لا أفارقهُ، (وَمَنْ لَزِمَنا - هم أعطونا هذا الضمان - وَمَن لَزِمْنَاه)، وإلَّا فإنَّ ولدي يُوصلُني إلى قبري ويعودُ راجعاً مُنشغلاً بحياته، أهلي كُلُّهم يفعلونَ هذا، الَّذي سيُلازمني ويُصاحبني لُطفُ إمامي، هذا هو الَّذي سيُصاحبني، ومن هنا فلا شيءَ لهُ من قيمة في هذهِ الحياة إلَّا ما نقومُ بهِ من خدمةٍ وطاعةٍ لإمامِ زماننا، هذه هي الحقيقةُ من الآخر.

خدمةُ إمامِ زماننا في أيَّامنا هذه تقتضي؛

- أنْ نصرفَ الأموالَ الضخمة.
- وأنْ نُؤسِّسَ المؤسَّسات الضخمة.
- وأنْ نتعاملَ مع التكنولوجيا المتطوِّرة جِدَّاً.
- وأن نعيشَ أساليب الحياة الراقية كي نستطيعَ أنْ نُقدِّمَ الخدمةَ لإمامِ زماننا.

الزّهدُ أن نعرفَ قيمةَ الدُّنيا وفقاً للمعايير الَّتي تقدَّم ذكرها قبلَ قليل، أن نعرفَ قيمتها وأن نُبرمجَ حياتنا وفقاً لتلكَ المعايير، هذا هو الزّهدُ الَّذي يُفَجِّرَ ينابيعَ الحكمة في قُلوبنا وفي صدورنا، هذه المرحلةُ الثالثةُ لتحصيل العقيدة السليمة.

نبيّنا الأعظمُ صلَّى الله عليه وآله في وصيّته لأبي ذرّ؛

من الجزء الرابعِ والسبعين من (بحار الأنوار) للمجلسي/ طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ الصفحة الثمانين: يَا أَبَا ذَرّ - النَّبيّ يُوصي أبا ذَرّ - إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّين - فَقَّهَهُ في الدِّين، والصَّادقُ يودُّ أنْ يضربَ رؤوسَ أصحابه بالسياط حتَّى يتفقَّهوا - وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا، وَبصَّرَهُ بِعُيوبِ نَفْسه، يَا أَبَا ذَرّ مَا زَهِدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيا إِلَّا أَنْبَتَ اللهُ الحِكْمَةَ فِي قَلْبِه، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَه، وَيُبَصِّرُهُ عُيوبَ الدُّنْيَا وَدَاءهَا وَدَوَاءهَا، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالماً إِلَى دَارِ السَّلَام، يَا أَبَا ذَرّ، إِذَا رَأَيتَ أَخَاكَ قَدْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا فَاسْتَمِع مِّنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّى الحِكْمَة.